**المحاضرة السادسة**

**نهضة الشعر وأوليته في العصر الجاهل:**

إنّ الشعر أفضل ما قالته العرب في حلها وترحالها , ففيه جمعت مآثرها وأمجادها وحفظت أيامها وأنسابها. وكان الشاعر يحتل مكانة رفيعة في قومه , وذلك لما يتميز به الشعر من تأثير كبير في النفوس ، فقد يرفع الوضيع , وقد يحط من قيمة الشريف .

في كتب التراث مشاهد عديدة تعكس مدى القوة السحرية والتأثيرية البالغة للشعر في العرب . يروي ابن رشيق القيرواني عن القيمة التي كان يحظى بها الشعر والشاعر عند العرب , فيقول :

( كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها , وصنعت الأطعمة , واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر , كما يصنعون في الأعراس , وتتباشر الرجال والولدان , لأنه حماية لأعراضهم وذبّ عن أحسابهم , وتخليد لمآثرهم , وإشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم , أو فرس تنتج ) [[1]](#footnote-2)(10) .

فالشعر ديوان علم العرب ومنتهى حكمهم , به يأخذون, وإليه يصيرون كما أشار ابن سلام [[2]](#footnote-3)(11).

العصر الجاهلي وأولية الشعر

يقسم المهتمون بتاريخ العرب في العصور القديمة عصر الجاهلية انطلاقا من المصادر القديمة,كالنقوش والآثار,والكتب اليونانية وكذا اللاتينية,والسريالية, والشعر, والمصادر الدينية كالتلمود , والقرآن الكريم [[3]](#footnote-4)(35) إلى قسمين :

- القسم الأول يعنون به العصر القديم البالغ في القدم, ويطلقون عليه الجاهلية الأولى.

- أما القسم الثاني فهو عصر ما قبل الإسلام, ويرى بعضهم أن فترة القسم الأول تمتد من فجر التاريخ إلى القرن الخامس الميلادي,وأما فترة القسم الثاني " الجاهلية الثانية" , فتبدأ من القرن الخامس الميلادي حتى ظهور الإسلام , وقيل عن هده الفترة هي التي أنتجت الشعر الذي بين أيدينا , بمعنى أنها لم تتجاوز 150 سنة قبل الإسلام[[4]](#footnote-5)(36) , حسب رأي الجاحظ الذي سنعرضه لاحقا.

أما الحديث عن أولية الشعر الجاهلي في غياب الإثباتات المادية والقرائن العلمية تجعله يتسم بالارتباك والفجاجة, على الرغم من وجود قرينة السبق في قول الشعر ممثلة فيما ذكره بعض الشعراء كامرئ القيس , وزهير , وعنترة [[5]](#footnote-6)(37) , هؤلاء الذين أقروا بوجود شعراء سبقوهم إلى قول الشعر. بل أن شاعرا مثل زهير يذهب إلى حد تأكيد شمولية تجربته هؤلاء الأوائل , الذين لم يتركوا شيئا إلا طرقوه. ومع ذالك فإن هذه الإشارات لاتكفي في غياب السياق التاريخي والبيئي , والفني الذي أنتج تلك الأبيات المعزولة , ولا ما يثبت حقيقة وجود " ابن حزام " أو " ابن حذام " [[6]](#footnote-7)(38), الذي ذكره امرؤ القيس , وما دام قد ذكره أمرؤ القيس , هو أحد شعراء الطبقة الأولى فلا بد أن تكون له ـ أي ابن حذام ـ قصائد قد ضاعت .

لكن وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الرأي يبقى مجرد افتراض يفتقر إلى الدليل المادي لكون المرحلة التي سبقت امرئ القيس مغشاة بالضبابية (وكل ما يقال عن هذه المرحلة لا يعدو أن يكون ضربا من الحدس والتخمين , الذي يفتقر إلى الأسس العلمية والمعايير الصحيحة , كما أنه ليس هناك من النقوش و الوثائق ما يخدم تلك الفترة ) [[7]](#footnote-8)(39) .

وهو الأمر الذي جعل الذين تعرضوا لهذه المسألة هشا وفضفاضا لغياب مقومات التأسيس وانعدام القرائن المادية والعلمية , التي يمكن أن تزيل الشك و الارتياب.

1. (10) ابن رشيق القيرواني " أبو علي الحسن " / العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ت. محمد محي الدين عبد الحميد . ج1. ط5. دارالجيل . بيروت .1981. ص 65. [↑](#footnote-ref-2)
2. (11) ـ محمد بم سلام الجمحي / طبقات فحول الشعراء . ت. ش. محمود محمد شاكر . ج1. مطبعة المدني .ص 24 [↑](#footnote-ref-3)
3. (35 يطلب تفصيل هذه المسألة عند : لطفي عبد الوهاب يحي / العرب في العصور القديمة. دار النهضة العربية

   بيروت. 1978. ص 121. [↑](#footnote-ref-4)
4. (36 عفت الشرقاوي / دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ...ص31. [↑](#footnote-ref-5)
5. (37) يقول امرؤ القيس : عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

   ويقول زهير : ما أرانا نقوا إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

   ويقول عنترة : هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم. [↑](#footnote-ref-6)
6. (38) يقول ابن سلام عن حذام هذا : ( هو رجل من طيء لم نسمع شعره الذي بكى فيه , ولاشعرا غير هذا البيت

   الذي ذكره امرؤ القيس ) .

   آنظر / طبقات فحول الشعراء ..ج1 .ص 39. [↑](#footnote-ref-7)
7. (39) السيد محمد ديب / امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين . دار الطباعة المحمدية . القاهرة .ط1. 1989.ص 33. [↑](#footnote-ref-8)